محاضرة رقم02: مناهج البحث والدراسة في الجغرافيا السياسية

تعد الجغرافيا السياسية أحد الفروع الأساسية في علم الجغرافيا، حيث تهتم بدراسة العلاقة بين المكان والسلطة، وبين الخصائص الجغرافية للدولة وأدائها السياسي. ولأن موضوعها يتداخل مع قضايا معقدة مثل الحدود، الأقاليم، الوحدات السياسية، والمنظمات فوق القومية، فقد اعتمد الباحثون على مناهج علمية متعددة تساعدهم على تحليل هذه الظواهر وفهمها بعمق. ومن أبرز هذه المناهج: منهج تحليل القوى الخاصة بالدولة، المنهج التاريخي، المنهج المورفولوجي (الشكلاني)، والمنهج الوظيفي، وهي مناهج تكمل بعضها البعض وتوفر أدوات متنوعة لفهم التفاعلات الجيوسياسية في مختلف المستويات:

1- المنهج التاريخي:

يرتكز المنهج التاريخي في الجغرافيا السياسية على دراسة الأحداث الماضية بهدف الوصول إلى تحليل أعمق للمشكلات القديمة وربطها بالقضايا الراهنة، ويهتم الباحث من خلال هذا المنهج بتتبع نشأة الدولة وتطورها في ضوء الظروف التاريخية التي مرت بها مناطق معينة، إضافة إلى دراسة كيفية تشكل حدودها السياسية والكشف عن الجذور التاريخية للمشكلات المعاصرة، مثل أزمة دارفور في السودان، وقضية كشمير، فضلاً عن أثر الاستعمار في إضعاف أو تعزيز مكانة العديد من دول العالم الثالث.

ورغم ما يوفره هذا المنهج من قيمة علمية كبيرة في تفسير الظواهر الجيوسياسية، إلا أن الإفراط في تضخيم بعض الأحداث أو تغليب النزعة الذاتية على الحقائق والموضوعية قد يشكل عقبة أمام الوصول إلى نتائج دقيقة، مما قد يؤدي إلى انحراف الدراسة عن المبادئ العامة التي تحكم مجال الجغرافيا السياسية .

2- المنهج الإقليمي:

يستخدم دارس الجغرافيا السياسية هذا المنهج عند قيامه بتحليل الدولة بالتركيز على تركيبها ومقوماتها الطبيعية والاقتصادية والبشرية وطبيعة حدودها السياسية وتفاعلاتها الإقليمية والعالمية.

3- **منهج النظم العالمية**:

يرتكز هذا المنهج على تحليل الوحدات السياسية الدولية من حيث أبعاد منظوماتها التاريخية وديناميتها في الإقتصاد العالمي وبنيتها المكانية في الاقتصاد العالمي والنطاق الجغرافي للنظام العالمي التي تتفاعل فيه وقوتها السياسية في الاقتصاد العالمي وطبيعة القوة (الأفراد - المؤسسات - الطبقات - الشعوب).

4- المنهج الوظيفي:

يقوم المنهج الوظيفي في الجغرافيا السياسية على دراسة الدولة من خلال وظائفها الداخلية والخارجية، مع التركيز على كيفية حفاظ الوحدات السياسية على تماسكها الداخلي أثناء تفاعلها مع المجتمع الدولي. ويولي هذا المنهج اهتمامًا بالعوامل الجغرافية مثل المناخ والتضاريس، وكذلك بالتنوع القومي والعرقي، باعتبارها عناصر مؤثرة في الحراك السياسي للدولة ونشاطاتها المختلفة. كما يبرز أثر المظاهر السياسية على الجوانب غير السياسية، مثل أنماط الاستقرار، إدارة الموارد، تطور شبكات النقل والاتصال، ونمو الخدمات والمرافق. ويُعنى أيضًا بقدرة الدولة على التكيف والبقاء والنمو في ظل التحولات الإقليمية والدولية. ومن ثم، فإن المنهج الوظيفي يركز على تحليل الوحدة السياسية من خلال الوظائف التي تؤديها على مستوى سياساتها الداخلية والخارجية، بما يعكس ديناميكيتها في مواجهة التحديات المتغيرة.

5- المنهج المورفولوجي :

يقوم هذا المنهج على تحليل أنماط الظواهر السياسية للدولة وعناصرها، بالتركيز على نمط وطبيعة تنظيمها السياسي والإداري داخل ونمط وطبيعة التنظيم الإقليمي المنخرطة فيه سواء كان ذلك على شكل كتل إقليمية وجهوية أو تنظيمات عالمية، كما يركز هذا المنهج في تحليل الجغرافيا السياسية على تركيب الظواهر السياسية، متمثلة في عواصم الدول وشعوبها ومواردها الإقتصادية وشكل حدودها السياسية والمشكلات التي تحدث في المناطق المختلفة.

6- المنهج الوصفي:

يهتم هذا المنهج بوصف المسرح السياسي للدولة، من حيث موقعها الجغرافي ومساحتها، شكلها، مركز مؤسساتها السياسية والاقتصادية وطبيعة نظامها السياسي، ووصف السلالات واللغة والدين، الأجناس الأحزاب السياسية وميولها والتمثيل النيابي والحقوق المدنية. كما يهتم هذا المنهج بدراسة العناصر الخارجية (وصف الحدود السياسية وتطورها وتركيبها ومشكلاتها وشكلها العام وكذلك شكل الدولة ووصف علاقاتها الدولية الأخرى وكذلك وصف للمجتمع البشري بتركيباته المتعددة والأسلوب الاقتصادي الذي تتبعه الدولة وأثره في قوتها وضعفها.

7- منهج تحليل القوة:

ينظر هذا المنهج في تحليل العوامل الجغرافية المؤثرة في قوة الدولة وضعفها وتكتلاتها، مثل جغرافيتها وموارد ثروتها الإقتصادية وثروتها البشرية ووسائل النقل والمواصلات من حيث حجم الشبكة وكفاءتها وربطها لجميع أجزاء الدولة وكذلك عدد السكان وخصائصهم وشكل وطبيعة النظام السياسي والموقع الجغرافي النسبي والفلكي وأثره على تنوع الموارد الاقتصادية وشكل الدولة وحدودها وأثر البيئة الجغرافية على علاقاتها السياسية الداخلية والخارجية.

منهج التحليل الجيوبوليتيكي:

يعتمد هذا المنهج في دراسة الجغرافيا السياسية على عدة مؤشرات داخل الوحدة السياسية، أبرزها الإنكشاف الإقتصادي، الحرمان الإقتصادي، التركيز الجغرافي للصادرات، التركيز الجغرافي للواردات، الدين الخارجي، درجة أهمية الصادرات .